الفصل الثاني

شرح شعر المتنبي للأفليلي

- عنوان الكتاب ونسبته إليه.
- زمن تأليفه.

شرح ديوان المتنبي

حظي ديوان المتنبي بعناية العلماء والأدباء الذين تداولوه بالشرح، فتركوا أكثر من أربعين شرحاً مطولاً ومختصراً[1]، بل نحواً من ستين شرحاً وجيزاً وبسيطاً[2].

ويعد أبو الفتح عثمان بن جني أقدم شراح هذا الديوان بكتابيه الفسر الصغير والفسر الكبير، اللّذين أثارا حركة نقدية تصويبيّة لفهم ابن جني، أما الفسر الصغير أو تفسير أبيات المعاني أو الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي، فقد انبرى له عدد من الشروح لدفع فهمه ونقده منها[3]:

١ ـ الفتح على أبي الفتح لابن فورجة (٤٠٠ ـ ٤٥٠ هـ).
٢ ـ تتبع أبيات المعاني التي تكلم عليها ابن جنى للشريف المرتضى.
٣ ـ الواضح في مشكلات شعر المتنبي لأبي القاسم الأصفهاني.

واستنهض الفسر الكبير عدداً آخر من أهل المعاني واللغة في تعقب ابن جني والرد عليه، ومن هؤلاء[4]:

١ ـ التنبيه على خطأ ابن جني لعلي بن عيسى الربعي (ت ٤٢٠ هـ).
٢ ـ التجني على ابن جنى لابن فورجة.

---

(١) وفيات الأعيان ج ١/١٢٥.
(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١١/٢٥٩.
(٣) المتنبي في آثار الدارسين د. عبدالله الجبوري ص ٣٦٧.
(٤) المرجع نفسه ص ٣٦٤.

٣ ـ الرد على ابن جني لأبي حيان التوحيدي.
٤ ـ قشر الفسر لأبي حيان التوحيدي.
٥ ـ المآخذ على شراح ديوان المتنبي للأزدي الحمصي عز الدين أحمد بن علي (ت ٦٤٤) تتبع فيه شروح ابن جني، المعري، الكندي، التبريزي، الواحدي.

وتتوالى بعد ابن جنى شروح عديدة، استأنست به، وجعلت منه أساساً في توضيح المعنى وتفصيله أحياناً، أو غايرته وانتحت بالمعنى منحى بعيداً جديداً أحياناً أخرى، ومن هذه الشروح شرح أبي الفضل العروضي (٤١٦ هـ)، ومعجز أحمد لأبي العلاء المعري (ت ٤٤٩) وشرح الواحدي (ت ٤٦٨ هـ) وشرح الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ)، والتكملة في شرح ديوان المتنبي لأبي علي الصقلي والنظام في شرح ديوان أبي تمام والمتنبي لابن المستوفي الأربلي (٦٤٧ هـ).

ويعد النظام أهم شروح المتنبي لأنه جمع كثيراً من شروح سابقيه، فهو ينص على مصادره، فضلاً عن شخصية متميزة في التوفيق بين الشروح أو مغايرتها بفهم جديد، والترجيح بين الروايات المختلفة، ونقد المعاني، ولولا اقتصاره على الشعر المشكل لكان أوفى مصدر لشعر المتنبي.

على أن صاحب كشف الظنون يرى أن شرح الواحدي «أجل شروح المتنبي نفعاً، وأكثرها فائدة، وليس في شروحه (ديوان المتنبي) مع كثرتها مثله»[1].

وللأندلس مشاركة في شرح ديوان المتنبي متميزة بأسبقيتها للمشرق، فضلاً عن استقلالها بالفهم والنهج، فأول شراحه أبو عبدالله محمد بن أبان بن (سيد) سعيد بن أبان الأندلسي اللخمي، من أهل قرطبة (ت ٣٥٤ هـ)، له

(١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ج ١/٨٠٩.

شرح لديوان المتنبي[1]. تلاه أبو القاسم الأفليلي (ت ٤٤١ هـ)، فابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) في شرح المشكل من ديوان المتنبي، فالأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦ هـ) فابن السيد البطليوسي (ت ٥٢٨ هـ).

شرح أبي القاسم الأفليلي

ومعنى ما سبق أن أبا القاسم الأفليلي يحتل مركزاً متقدماً في الأندلس، ويشارك المشارقة في الاحتفاء بشعر أبي الطيب الذي أثار خصومة حادة بين أنصاره وخصومه، فغدا ظاهرة متفردة في الأدب العربي خلال القرن الرابع الهجري وما تلاه أيضاً.

عنوان الكتاب ونسبته إليه:

لا يعرف عنوان شرح أبي القاسم الأفليلي هذا على وجه التحقيق، فتسميتهُ متباينة بين المصادر، فهو في بعضها، خاصة المتقدم منها، شرح شعر المتنبي، وفي بعض آخر ـ خاصة المتأخر منها ـ شرح ديوان المتنبي.

وأقدم إشارة إلى هذا الشرح نجدها عند ابن حيان (ت ٤٦٩ هـ) نقلها عنه ابن بسام صاحب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة وهي قوله: «وما بلغني أنه ألف في شيء من فنون المعرفة إلا كتابه المتنبي لا غير»[2].

وقال ابن حزم في رسالة في فضل الأندلس «ومما يتعلق بذلك شرح أبي القاسم إبراهيم بن محمد الأفليلي لشعر المتنبي، وهو حسن جداً»[3].

(١) ذكره البغدادي في إيضاح المكنون ٥٢٧/١ نقلاً عن المتنبي في آثار الدارسين ٣٦٢.
(٢) الذخيرة ق ١ م ١ ص ٢٨١.
(٣) نفح الطيب ١٧٣/٤.

وذكره الحميدي (ت ٤٨٨ هـ) في جذوة المقتبس «وله كتاب شرح فيه معاني شعر المتنبي، قال لنا أبو محمد علي بن أحمد: وهو كتاب حسن»[١].

وذكره البكري وهو بصدد تحديد العذيب وبارق فقال: «وقال إبراهيم ابن محمد في شرحه لشعر أبي الطيب عند قوله:

تذكرت ما بين العذيب وبارق

العذيب: ماء لبني تميم، وكذلك بارق، وديار تميم إنما هي اليمامة»[٢].

ونقل ابن سعيد في المغرب عن ابن حيان قوله «وما بلغني أنه ألف شيئاً إلا كتابه في شعر المتنبي»[٣].

هذا هو عنوان الكتاب في المصادر الأندلسية المعاصرة لأبي القاسم الأفليلي «شرح شعر المتنبي».

وفي المصادر المشرقية المتأخرة عن زمن الأفليلي غلب على الكتاب «شرح ديوان المتنبي» قال ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ): «وله كتاب شرح فيه معاني شعر المتنبي حسن جيد»[٤].

وقال القفطي: «وله كتاب شرح فيه معاني المتنبي وهو كتاب حسن»[٥].

وقال ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ): «شرح ديوان المتنبي شرحاً جيداً»[٦].

---

(١) جذوة المقتبس ١٥١.
(٢) معجم ما استعجم ٩٢٧/٣.
(٣) المغرب في حلى أهل المغرب ٧٢/١.
(٤) معجم الأدباء ج ٢/٥.
(٥) إنباه الرواة على أنباه النحاة ج ١٨٣/١ - ١٨٤.
(٦) وفيات الأعيان ج ٣٣/١.

وقال الفيروز آبادي (ت ٨١٧): «شرح ديوان المتنبي شرحاً نفيساً»[١].

وقال السيوطي (ت ٩١١ هـ): «ولـه شرح ديوان المتنبي، ولم يصنف غيره»[٢].

وقال ابن العماد الحنبـلي (ت ١٠٨٩ هـ) «وشرح ديوان المتنبي شرحـاً جيداً، وهو مشهور»[٣].

وفي نسخ الكتاب المخطوطة ما يؤكد العنـوان الذي جـاء في المصادر الأندلسية وهو شرح شعر أبي الطيب المتنبي. ففي نهاية مخطوطة لندن المكتوبة ٦٧٤ هـ. جاء ما نصه: «انتهى السفر الثالث من شعر أبي الـطيب المتنبي رحمه الله، وهو الأول من شرح ابن الأفليلي رحمه الله».

وفي مخطوطة الرباط المكتوبة سنة ٩٧٥ هـ جاء فيها على الورقة الأولى: «الحمد لله السفر الأول من شعر أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي شرح أبي القاسم بن الأفليلي».

وفي نهاية مخطوطة الخزانة العامة بالرباط المكتوبة سنة ١١٢٨ هـ كتب ما يلي: «انتهى السفر الأول من شرح أبي القاسم الأفليلي على شعر أبي الطيب المتنبي في مدح الأمير سيف الدولة».

ومن نافل القول الإشارة إلى أن هذا الشرح لأبي القاسم الأفليلي، فقد أثبتت المصادر المشار إليها سابقاً ذلك، فضلاً عن مخطوطات هذا الشرح، على الرغم من أننا نفتقد الدلالة الخاصة على أبي القاسم خلال الشرح نفسه، كما جرت عادة السلف في مؤلفاتهم بقولهم: قال فلان بن فـلان، أو قال أبـو فلان.

---

(١) البلغة في تاريخ أئمة اللغة ص ٩.

(٢) بغية الوعاة ١/٤٢٦.

(٣) شذرات الذهب ٣/٢٦٦.

زمن تأليفه.

إن أقدم مخطوطات شرح أبي القاسم الأفليلي التي بين أيدينا يرجع تاريخ كتابتها إلى سنة ٦٧٤ هـ، ومعنى ذلك أننا نفتقد النسخة التي كتبت بخط المؤلف أو في حياته، وليس في المخطوط ما يدل على شيء من ذلك أثناء الشرح، إذ تختفي شخصيّة الشارح تماماً في هذا الكتاب.

ويطرح ليفي بروفنسال مطلع القرن الحادي عشر الميلادي زمناً لشرح الأفليلي فيقول: «وقبل الأعلم شرح أستاذه الأفليلي في قرطبة في مطلع القرن الحادي عشر الميلادي، ديوان المتنبي»[١]

وهذا الطرح لزمن تأليف أبي القاسم لشرحه وإن كان ضرباً من التخمين من غير تحديد وتعيين للسنوات الخمس أو العشر الأولى من مطلع القرن الخامس الهجري، فإنه يحظى بجانب من الإصابة والصواب إذا أخذنا بالرأي الذي يقول إن ابن حزم كتب رسالته في فضل الأندلس عام ٤٢٠ هـ[٢]، وقد أفسح فيها مجالاً لذكر شرح الأفليلي والثناء عليه[٣].

ولم يرد ذكر رسالة التوابع والزوابع في فضائل الأندلس عند ابن حزم، بما يشعر أنها لم تكن موجودة آنئذٍ، فتاريخها بعد هذا الزمن ٤٢٠ هـ، يقول ابن حزم عن صديقه ابن شهيد: «ولنا من البلغاء أحمد بن عبد الملك بن شهيد؛ صديقنا وصاحبنا، وهو حي بعد، لم يبلغ سن الاكتهال، وله من التصرف في وجوه البلاغة وشعابها مقدار يكاد ينطق فيه بلسان مركب من لسان عمرو وسهل»[٤].

---

(١) الحضارة العربية في إسبانيا ص ٨٢.

(٢) شارل بلا bibliographe et apologiste de l'Espagne musulman ج ١٩ ص ٩٤ سنة ١٩٥٤ نقلاً عن ديوان ابن شهيد ليعقوب زكي ص ٣٣.

(٣) نفح الطيب ١٧٣/٤.

(٤) نفح الطيب ١٧٨/٣.

ولكن ابن شهيد الذي وضع رسالته ما بين عام ٤١٦ ـ ٤٢٠ هـ على أبعد احتمال[١]، لم يشر إلى شرح الأفليلي، ولو كان موجوداً لما توانى عن تنقصه، وتسديد سهام النقد إليه في رسائله الأخرى أيضاً، خاصة أنه عدّ تجنب المعلمين التأليف دليل تقصيرهم وعجزهم، يقول: «ومن دليل تقصير عصابة المعلمين أنهم لا يقدمون أن يجعلوا ما يحملون من المعرفة تصنيفاً، ولا تغزر مادتهم أن ينشئوها تأليفاً. . . .».

ومن الممكن أن يكون ابن شهيد أغفل شرح أبي القاسم الأفليلي قصداً إلى النيل من مكانته، وتسفيه شخصيته الممثلة للمعلمين في قرطبة، فهل أدرك ابن شهيد في هذا الشرح تميزاً عن أسلوب أبي القاسم في رسائله، فآثر إظهار معائبه دون الإبانة عن محاسنه؟

ونقرأ خبراً في ترجمة الأعلم الشنتمري مفاده: أنه «ساعد شيخه ابن الأفليلي على شرح ديوان المتنبي»[٢] فإذا علمنا أن الأعلم رحل إلى قرطبة للتلقي عن الأفليلي عام ٤٣٣[٣]، وجدنا أنفسنا أمام تاريخين لوضع هذا الشرح وإخراجه؛ أحدهما: قبل سنة ٤٢٠ هـ وثانيهما: بعد عام ٤٣٣ هـ،

وقد ذهب الدكتور محمد بن شريفة إلى أن الأفليلي أخذ في شرحه لديوان المتنبي في آخر حياته، إذ توفي قبل أن يكمل هذا الشرح الذي أنهى منه النصف تقريباً، فأتمّه الأعلم الشنتمري بشرح قصائد الصبا في شعر المتنبي، وبذلك فسرّ الدكتور محمد بن شريفة مساعدة الأعلم شيخه[٤].

ومع أنني لست معه في فهم المساعدة على أنها الإتمام والإكمال، إذ ثمة فرق واضح بين الفعلين ودلالتهما، فإن ما سبق ذكره من أخبار يحمل على

---

(١) ديوان ابن شهيد ص ٤٤.

(٢) نكت الهميان ص ٣١٤ وفيات الأعيان ج ٢٠/٦١ وإنباه الرواة ٤/٦٠.

(٣) الصلة ٢/٦٨١.

(٤) أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة ص ١١١. وانظر دليله النقلي من ديباجة الاعلم لشرح شعر الصبا للمتنبي.

التساؤل هل يمكن أن يكون أبو القاسم الأفليلي وضع شرحه لشعر المتنبي مرتين؟

ليس هناك ما يمنع هذه المعاودة في التأليف تصويباً واستدراكاً، وفي نتاج السالفين وتآليفهم ما يدل على ذلك، صنع ذلك الجاحظ في البيان والتبيين وابن دريد في الجمهرة، والشريف الرضي في نهج البلاغة[1]، والثعالبي في اليتيمة، وابن خفاجة الأندلسي في ديوانه. ويكاد الدارس لمخطوطات شرح شعر المتنبي يقطع بأن يد أبي القاسم الأفليلي تناولته مرتين، مستعيناً بدليل ظني وآخر يقيني، أما الدليل الظني فهو مراجعة ابن حزم لهذا الشرح وتعقبه له في نقده المفقود «التعقيب على الأفليلي في شرحه لديوان المتنبي»[2] فلعل أبا القاسم وجد عند ابن حزم صواباً في توجيه، وحقاً في نقد، فراجع شرحه مفيداً ومعيداً.

أما الدليل اليقيني فمصدره الفروق الجوهرية بين نسخة لندن المتقدمة التاريخ ٦٧٤ هـ، ونسخة الرباط (وما نسخ عنها) المتأخرة تاريخ الكتابة ٩٧٥ هـ، ويمكن تحديد هذه الفروق بما يلي:

١ ـ شرح المفردات اللغوية:

فقد شرح ابن الأفليلي المفردات اللغوية الغريبة في مقدمة شرح المعنى في نسخة لندن، في حين لم تشرح هذه الألفاظ في نسخة الرباط، ولا نستطيع أن نحمل كاتب نسخة الرباط مسؤولية التصرف في النص كما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين بقوله: «إن صاحب نسخة الرباط لعب قليلاً بالنّص»[3] وذلك لسببين:

---

(١) انظر تحقيق النصوص ونشرها عبد السلام هارون ص ٣٣ ـ ٣٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ١٨/١٩٧.

(٣) تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ص ١٠٣.

أولهما: أن شرح المفردات الذي جاء في نسخة لندن في مقدمة الشرح، جاء أحياناً في نهاية الشرح في نسخة الرباط، مثال ذلك الفهاق في قول المتنبي:

والذي يضرب الكتائب حتى تتلاقى الفهاق والأقدام

«والفهاق: جمع فهقة، وهو العظم الذي يكون على اللهاة»[1].

وفي قول المتنبي:

فإن يقدم فقد زرنا سمندو وإن يحجم فموعدنا الخليج

ففي نسخة لندن فسرت الألفاظ التالية في مقدمة الشرح: «سمندو: حصن يتوسط بلاد الروم، والإحجام: التأخر، والخليج: ما انجر إلى القسطنطينية من البحر»[2].

ويقع هذا التفسير للمفردات في نهاية الشرح في نسخة الرباط.

والتزام أبي القاسم الأفليلي بتقديم شرح المفردات بدءاً، لم يمنعه من مغايرة هذا النهج وتفسير المفردات في نهاية الشرح أحياناً أو في أثناء الشرح، وأحسب هذا من آثار محاولته الأولى في الشرح، ومن أمثلة ذلك ما جاء في بيت المتنبي:

بلغت بسيف الدولة النور رتبة أنرت بها ما بين غرب ومشرق

قال أبو القاسم في شرحه: « ثم يقول: بلغت بسيف الدولة الذي هو نور في دهره، وضياء في عصره، رتبة من المدح، ومنزلة من جليل الوصف، أضاءت في جميع الأرض، وأنرت بها ما بين الشرق والغرب. ويقال: أنار الرجل المكان: إذا ظهر الضياء فيه»[3].

(١) انظر نسخة لندن ورقة ٥ ونسخة الرباط ورقة ٨.

(٢) انظر نسخة لندن ورقة ٣٩ ونسخة الرباط ورقة ٤٦.

(٣) انظر نسخة لندن ورقة ٧٩، وانظر مثالاً آخر في الورقة ١٤.

وفي قول المتنبي:

مهانك لم تصحب بها الذئب نفسه ولا حملت فيها الغراب قوادمه

فسرت القوادم في نهاية البيت أيضاً.

ومن المفردات ما جاء تفسيره أثناء الشرح، كما في الطمو في قول المتنبي:

إذا طما البحر المحيط فقل له دع ذا فإنك عاجز عن حاله

قال الأفليلي: «ثم قال: وإذا طما البحر المحيط، وطمّوه: ارتفاعه، فقل له: دع ما تظهره، فكرم سيف الدولة يغمرك، ومواهبه تحقرك، وأنت عاجز عن رتبته، ومقصر عن جلالته ورفعته»[1].

وثانيهما: اتفاق نسخة لندن ونسخة الرباط في تفسير المفردات في مقدمة الشرح في بعض الأبيات، خاصة إذا كان أمر المفردة متعلقاً بقضيّة لغوية أو نحوية. ويشير هذا إلى أن أبا القاسم ربما كان معنياً في محاولته الأولى بإزالة الغموض الذي يعتور الكلمة، والإشكال الذي يتعلق بالتركيب، ومن أمثلة ذلك قول المتنبي:

وهان فما أبالي بالرزايا لأني ما انتفعت بأن أبالي

قال الأفليلي: «قال: وهان: يريد: رمي الدهر له برزاياه، فحذف الرمي لدلالة قوله: رماني عليه، وأضمر ثقة بما قدّمه من التفسير؛ لأنه لما قدم وصف حاله، ورمي الدهر له، قال: وهان، يريد: وهان ذلك، وإضمار ما يقدم حسن في الكلام، ثم ذكر أنه لا يبالي بما طرقه من الرزايا، بتتابعها، فهو لا يجزع لها لتيقنه أن الجزع غير نافع فيها»[2].

---

(١) انظر نسخة لندن ورقة ٢٣.

(٢) انظر نسخة الرباط ورقة ٩.

ومن أمثلة ذلك التعليل بجواز تثنية أب في قول المتنبي:

تسل بفكر في أبيك فإنما بكيت فكان الضحك بعد قريب

قال الأفليلي: «وقوله في أبيك، يريد: في أبويك، فثنى الأب على لفظه، ولم يرده إلى أصله، وقد روى الفراء ذلك، وذكر أن من العرب من يقول إذا ثنى الأب والأخ في الرفع أبان وأخان، وفي النصب والخفض أبيّن وأخيين. . . .»[1].

٢ ـ استدراك شرح بعض الأبيات في نسخة لندن، مما لم يشرح في نسخة الرباط، من ذلك قول المتنبي:

لقيت العفاة بآمالها وزرت العداة بآجالها
وأقبلت الروم تمشي اليـ ـك بين الليوث وأشبالها
إذا رأت الأسد مسبية فأين تفر بأطفالها[2]

٣ ـ تهذيب شرح الأبيات تهذيباً يتناول صقل العبارة بالتجويد، تقديماً وتأخيراً، أو زيادة توضح المعنى، وقد جرى التغيير في التركيب والجملة، وبنية الشرح كاملة، من ذلك ما جاء في شرح قول المتنبي:

تسر بالمال بعض المال تملكه إن البلاد وإن العالمين لكا

ففي نسخة الرباط قال الأفليلي: «ثم قال: تسر بمالك من يملكه كملكك له، وتصرفه كتصريفك إياه، فكأنك إنما تسر بمالك مالك، وتهب لمالك مالك، والبلاد طاعتك، وأهلها رعاياك، والعالمون ممتثلون لأمرك، متصرفون على حكمك».

وشرح هذا البيت بتعديل وتهذيب وزيادة في نسخة لندن، إذ يقول

(١) انظر نسخة لندن ورقة ٥٥ ونسخة الرباط ورقة ٦٠ ومثالاً آخر نسخة لندن ورقة ٦٠.
(٢) انظر نسخة لندن ورقة ٧٥ ونسخة الرباط ورقة ٧٧ وانظر مثالاً آخر البيت ١٦ من القصيدة ٣٢.

الأفليلي: «ثم قال تسر بما تهينه من مالك من تهبه له من قصادك وخولهم، وهم في وقوعهم تحت ملكك، وتصرفهم تحت أمرك، على حسب نهيك وأمرك، كمالك الذي تنفرد بملكه، وتتحكم في أمره، فأنت تسر بمالك مالك، ويوقرك من لا يخرج عن ملكك، فالأرض في قبضتك، وعامروها أهل طاعتك»[1].

ولا سبيل إلى إسناد هذا الفارق بين النسختين إلى فعل النساخ وما يدور فيه من مستوى ثقافتهم وإدراكهم وقدرتهم، لأن الفارق يتجاوز لفظاً أو تركيباً إلى إعادة صياغة المعنى صياغة جديدة مع الانتفاع بما سبق من شرحه.

ولست أنكر أن كثيراً من الفروق في الألفاظ والتراكيب قد لا تتعدى عمل النساخ، كالتحريف الذي جاء في شرح قول المتنبي:

لا عدم المشيَّعَ المشيِّعُ ليت الرياح صنع ما تصنع

ففي نسخة الرباط: «يقول لا عدم سيف الدولة هذا العبد النجيب، والوالي النصيح، ثم أقبل على سيف الدولة، فقال: ليت هذه الريح تحتذي حذوك، وتفعل فعلك» وفي نسخة لندن: «يقول: لا عدم سيف الدولة هذا العبد المحب، والوالي الناصح، ثم أقبل على سيف الدولة فقال: ليت هذه الريح تحذو حذوك وتفعل فعلك[2]».

إن بين المحب والنجيب، والناصح والنصيح رابطة قربى في الهيئة والشكل، على الرغم مما بين كل كلمتين من فارق في المعنى والبناء. والأمر يتعدى مثل هذين الموضعين إلى كثرة ملحوظة بدت ظاهرة في الفروق بين الألفاظ وبين التراكيب أيضاً، وقد أشرت إلى ذلك في حواشي التحقيق، وكثرة ذلك تغني عن الإشارة إليه أو إيراده.

(١) انظر نسخة لندن ورقة ٣٢ ونسخة الرباط ورقة ٣٨.

(٢) انظر نسخة لندن ورقة ٣١ ونسخة الرباط ورقة ٣٧.

٤ ـ تجزئة الشرح وتقسيمه إلى سفرين مختلفين في حجمهما وعدد قصائدهما.

فقد انتهت نسخة لندن بنهاية القصيدة (٥٩) التي مطلعها:

ظلم لذا اليوم وصف قبل رؤيته لا يصدق الوصف حتى يصدق النظر

وورد في نهايتها: «انتهى السفر الثالث من شعر أبي الطيب رحمه الله وهو الأول من شرح ابن الأفليلي. . . . يتلوه في أول الرابع بمشيئة الله وعونه:

وقال يصف دخول الرسول أيضاً:

دروع لملك الروم هذى الرسائل يرد بها عن نفسه ويشاغل

وانتهت نسخة الرباط بنهاية شرح القصيدة (٦٩) التي مطلعها:

إن يكن صبر ذي الرزية فضلا تكن الأفضل الأعز الأجلا

وذيلت هذه النسخة بالقول: تم القصيد بحمد الله، يتلوه:

ذي المعالي فليعلون من تعالى هكذا هكذا وإلا فلا لا

والفارق في هذه التجزئة بين النسختين عشر قصائد، تحوي على (٣٢٩) بيتاً، إذ شملت نسخة لندن بقصائدها (٥٩) على (١٠٦٤) بيتاً، وشملت نسخة الرباط بقصائدها على (١٣٩٣) بيتاً.

وأياً كانت دلالة هذا الفارق العددي في هذه التجزئة، وأياً كانت نسبية حجم السفر وعدد أوراقه بين المؤلفين والنساخ، فإن في اختلاف هاتين النسختين دليلاً على محاولتين مختلفتين جوهرياً في عدد القصائد، وتباين الشرح وعبارته، وزمن البدء، وتاريخ المعاودة فيه.

ويرد هنا سؤالان على هاتين المحاولتين عن واقع القسمة فيهما:

أولهما: إذا كانت المحاولة الأولى قد أنهت السفر الأول بنهاية السيفيات تقريباً (عدا تسع قصائد) أفيكفي ما تبقى من شعر المتنبي؛ الكافوريات أو المصريات والعضديات، للنهوض بالسفر الثاني في مساواته بالسفر الأول؟

وثانيهما: إذا كانت المحاولة الثانية قد ضمنت السفر الأول ثلاثة أسفار من شعر المتنبي، فهل في ذلك دليل على أن الأفليلي بدأ بشعر الصِّبا عند المتنبي في هذه المحاولة؟

إن في هامش الورقة الأولى من نسخة الرباط ما يشي بحدود المحاولة الأولى واحتمال بدايتها بالسيفيات، فقد جاء ما نصه: «أول القصيدة التي شرح الأفليلي من كلام أبي الطيب المتنبي رحمهم الله».

ولعل مما يعزز هذا الاحتمال بداية وانتهاءً أمرين:

أولهما: ما جاء في نهاية مخطوط الرباط المنسوخ سنة ١١٢٨ هـ «انتهى السفر الأول من شرح أبي القاسم الأفليلي على شعر أبي الطيب في مدح سيف الدولة أبي الحسن علي بن عبدالله».

ثانيهما: أن صاحب التبيان (ابن عدلان»[1] في شرح ديوان المتنبي نصّ

(١) نسب مصطفى جواد هذا الكتاب إلى عفيف الدين أبي الحسين علي بن عدلان (٥٨٣ ـ ٦٦٦ هـ) ودلل على ذلك بأدلة هي في مجموعها صائبة في نفي نسبة الكتاب إلى أبي البقاء العكبري (انظر مجلة المجمع العلمي ـ دمشق ـ مجلد ٢٢ ص ٤٣ ـ ٤٤ سنة ١٩٤٧).
وأضيف إلى أدلة نفيه دليلين: **أولهما**: أنني قارنت بين شرح كثير من الأبيات التي وردت منسوبة لأبي البقاء في النظام لابن المستوفي، وبين ما ورد في التبيان، فلم أجد تطابقاً أو تقارباً، من ذلك شرح قول المتنبي.

ولسنا نرى لهباً هاجه فهل هاجه عزك الأقعس

قال أبو البقاء في شرحه: «أي لم يظهر لنا ما ألهب المجمر، فلعل ذلك من هبتك» (النظام ١١٩/٢) وشرح البيت في التبيان: «المعنى: يقول: نحن لا نرى ناراً هيجت ريح الند، فهل هاجه عزك الثابت، أو المرتفع العالي» (٢٠٦/٢) وفي قول المتنبي:

(لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقي
وللحب ما لم يبق مني وما بقي)

قال أبو البقاء العكبري: «أي سبب عناء قلبي في الماضي والمستقبل، ملاحة عينيك وقيل لأجل عينيك...» (النظام ٢٠٤/٢) وفي التبيان شرح منقول من أبي القاسم الأفليلي: «يقول لمحبوبته لعينيك، وما تضمنتاه من السحر، وأثارتاه من لوعة....» (٣٠٤/٢).
وثانيهما: أن مذهب أبي البقاء العكبري في النحو متأثر بمذهب البصريين إلى حد كبير، أما صاحب التبيان، فالمذهب الكوفي غالب عليه، إذ يكثر من قوله: «ذهب أصحابنا =

في نقله على أقوال ابن الأفليلي فيما يقارب عشرين موضعاً، كلها في سيفيات المتنبي وما بعدها، فمن المصريات قول المتنبي في مدح أبي شجاع فاتك[1] سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة:

= الكوفيون» (٢/١١٢)، وكقوله: « وهذا جائز عند أصحابنا الكوفيين، والبصريون لا يختارونه» (٤/١١٥).

غير أن أدلة نسبة الكتاب إلى ابن عدلان والتي أوردها مصطفى جواد بحاجة إلى إثبات، فلا يعني قوله: «قال أبو الحسن عفيف الدين علي بن عدلان: الرواية الصحيحة مثل بالرفع» (التبيان ٤/٢٠١) دليلاً على أنه أثبت نفسه، بتسمية اسمه على أنه صاحب الكتاب، لأسباب:

أولها: أنه أورد مثل هذا القول في إسناده لغيره، كقوله «قال الشريف هبة الله بن الشجري الحسني: فيه سؤال في الإعراب بين كفى بجسمي نحولاً وبين كفى بالله» (التبيان ٤/١٨٦).

ثانيها: إن طريقة صاحب التبيان في دفع آراء غيره، أو إثبات رأيه، لا تُعْنَى بالنص على شخصه بالتسمية، فهو يرد على ابن القطاع فيما ذهب إليه من أن ظاهر أحد الأبيات هجاء سيف الدولة بقوله: «الأسد: وهي جمع أسد، معدود في البهائم، ولولا ذلك لكنت أشبهها بهم، **وأقول**: الأسد مثلهم، وإنما يقع التشبيه للمفضول بالفاضل إذا كانت بينهما مناسبة...» (٤/١١٦)، وفي رده على الأخفش قال: **«وعندنا أيضاً أنه يرتفع بما عاد إليه من الفعل من غير تقدير»** (٢/١٠٥) **وقال في دفعه لرأي الواحدي «وليس المتنبي من أهل الأوصاف، وهي كالقطعة التي وصف بها كلام ابن العميد. انتهى كلامه. قلت**: إنما المتنبي ممن يحسن الأوصاف في كل فن...» (٤/١٦٥).

ثالثها: أن هذا النص على ابن عدلان لم يرد في كتاب التبيان إلا مرة واحدة، فلماذا لم يكن لهذه المرة نظائر في الإشارة والتخصيص.

أما قول مصطفى جواد: «إن ابن عدلان ألف الشرح الكريم البارع الجسيم لديوان المتنبي... وألف أيضاً (نزهة العين في اختلاف المذهبين). والروضة المزهرة في شرح كتاب التذكرة) فلا دليل عليه من المصادر التي ترجمت له، وغاية ما ذكرت له من المصنفات إنما يتعلق بحل الألغاز مثل «عقلة المجتاز في حل الألغاز» ومصنف حل المترجم ألفه للملك الأشرف (انظر الوافي بالوفيات ٣/٤٣ ـ ٤٤، بغية الوعاة ٢/١٧٩، الأعلام ٤/٣١٢) على أن صديقه ابن خلكان لم يخصه بترجمة منفردة.

وإلى أن يكشف التحقيق عن صاحب هذين الكتابين، فسيظل لمصطفى جواد جهده الذي لا ينكر في محاولة البحث عن تحقيق صاحب التبيان.

(١) هو أبو شجاع فاتك الملقب بالمجنون، وهو رومي أسر وربي في فلسطين، ثم أخذه الأخشيد من سيده في الرملة كرهاً بلا ثمن فأعتقه صاحبه، وكان في أيام كافور مقيماً بالفيوم، ويقول ابن خلكان إنها كانت إقطاعاً له. (انظر وفيات الأعيان ٤/٤٧ ـ ٥٠) ط دار صادر.

يروى صدى الأرض من فضلات ما شربوا محض اللقاح وصافي اللون سلسال

نقل صاحب التبيان ما نصه: «وقال ابن الأفليلي: يروي عطش الأرض بفضلات ما يسقيه أضيافه من اللبن والخمر، وما يتابع لهم من الألطاف والبر، فيفضل عنهم من ذلك ما يقوم للأرض مقام السقي، وما يحمل لها من المطر»[1].

لكن الباحث في شرح صاحب التبيان لشعر الصِّبا عند المتنبي لا يظفر بأية إشارة إلى ابن الأفليلي، فهل في هذا دليل على عدم شرحه لهذه القصائد قبل اتصاله بسيف الدولة، لتفاوت شعر المتنبي بين المرحلتين[2]؟ أم أن الأمر في عدم الإشارة لا يعدو الاستحسان والانتخاب؟

وينازع في الأمرين السابقين ويدفع الاحتمال فيهما، إشارة إلى شرح الأفليلي لشعر الصبا، وذلك في تعقيبه على قصيدة المتنبي:

واحرّ قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمي وحالي عنده ألم

بقوله: «ولما أنشد هذه القصيدة وانصرف، كان في المجلس رجل يعاديه، فكتب إلى أبي العشائر على لسان سيف الدولة كتاباً إلى أنطاكية يشرح له فيه ذكر القصيدة، وأغراه به، فوجه أبو العشائر عشرة من غلمانه، فوقفوا قريباً من باب سيف الدولة في الليل، وأنفذوا إليه رسولاً على لسان سيف الدولة... فضرب أحدهم بالسيف فقطع الوتر، وبعض القوس، وأسرع السيف في ذراعه، فوقفوا عليه، وسار وتركهم، فلما يئسوا منه، قال أحدهم نحن غلمان أبي العشائر، فلذلك قال:

ومنتسب عندي إلى من أحبه وللنبل حولي من يديه حفيف

(١) التبيان ٢٨٢/٣ وانظر مثالاً آخر ٢٨٤/٣.

(٢) ذهب الواحدي وصاحب التبيان وبعض من تناول شرحه إلى أنه لو طرح أبو الطيب شعره في صباه لكان أولى به.

هي خمسة أبيات قد تقدمت وألحقت بمدح أبي العشائر، وقد كنا شرطنا على رأسها أن نشرحها هاهنا»[1].

ويرفع من شأن هذه الإشارة وجودها في كل من نسختي الرباط ولندن، ومن عجب أن الأفليلي لم يشرح هذه الأبيات الخمسة في هذا الموضع، بل لم يذكر الأبيات، فلعله قصد بقوله «شرطنا على رأسها أن نشرحها هاهنا» تفصيل القول في شرح مقدمتها في هذا الموضع لأنه أليق به وألصق.

ويؤكد الدكتور محمد بن شريفة أن أبا القاسم الأفليلي لم يشرح شعر الصبا عند المتنبي معتمداً في ذلك على مقدمة الأعلم الشنتمري في شرح قصائد الصبا من شعر أبي الطيب المتنبي، إذ أن ابن الأفليلي توفي قبل أن يكمل شرح الديوان حيث إنه لم يشرح منه إلا نحو النصف من جملة شعر المتنبي، وبقي عليه قسم من شعره، وهو الذي قاله في صباه، فنهض تلميذه بشرحه ليكون كما يقول في المقدمة: «هذا الشرح موصولاً بشرحه المذكور، ومضافاً إلى تأليفه المشهور،» فيكمل بذلك جميع الشعر مشروحاً، ويذهب الأعلم إلى أن الغاية من تكملته شرح أستاذه بشرحه هي «أن يستغني بهما عن شرح أبي الفتح ابن جني وغيره»[2].

٥ ـ إفراد الأبيات بالشرح وجمعها.

عمد أبو القاسم في محاولته الأولى إلى إفراد كل بيت بالشرح غالباً، وربما جمع أبياتاً ثلاثة أو أربعة معاً. إلا أن جمعه للبيتين معاً هو الأكثر، غير أن ذلك لا يتعدى الخمسة عشر موضعاً. ولا يتبع أبو القاسم في هذا الجمع خطة دقيقة، فقد يطلب البيت الأول تفصيل فكرته في البيت التالي له،

---

(١) انظر القصيدة ٣٥ من هذا الشرح.

(٢) أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة ص ١١١ ـ ١١٢.

فيكون جمع البيتين صائباً، كما في قول المتنبي:

يعللها نطاسي الشكايا وواحدها نطاسي المعالي
إذا وصفوا له داء بثغر سقاه أسنة الأسل الطوال

وقول المتنبي أيضاً:

وليست كالإناث ولا اللواتي تعد لها القبور من الحجال
ولا من في جنازتها تجار يكون وداعها نفض النعال

وقد يجمع بين البيتين، وجامع المعنى بينهما لا يتأتى إلا بتأول وتدقيق، كما في جمعه البيتين التاليين:

وإني لمنوع المقاتل في الوغى وإن كنت مبذول المقاتل في الحب
ومن خلقت عيناك بين جفونه أصاب الخدور السهل في المرتقى الصعب

وفي عدد المرات المعدودة التي جمعها أبو القاسم في نسخة الرباط ما يدل على عدم تبصره وعنايته بالرابطة القوية التي تكثر بين أبيات المتنبي وفي شعره، فلم يعط منهجه هذه الظاهرة كبير عناية، ولكنه في محاولته الثانية رسخ وحدة الأفكار والمعاني.

على أن الأفليلي أبقى على ما يشير إلى توحد المحاولتين وذلك بإبقائه على اللازمة الفاصلة بين كل بيت وذلك في قوله: «يقول... ثم قال» أو «ثم وصف» وقلما يفارق ذلك بمزج المعاني مزجاً يشعر بوحدتها واتساقها.

مما سبق يتبدى ميلي إلى عدّ نسخة الرباط نتاج محاولة الأفليلي الأولى، ونسخة لندن تهذيب محاولته الثانية في الشرح، وذلك لأسباب عدّة تميزت بها هذه النسخة، إذ غلب عليها التحسين والتهذيب والاستدراك.